الألوكة
www.alukah.net

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

أحباب اللّه في القرآن

بقلم

د. عبد الحكيم الأنيس

إدارة البحوث

الطَّبعةُ الأُولى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م

ISBN 978 - 9948 - 499 - 80 - 0

حُقوقُ الطَّبعِ محفُوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة
mail@iacad.gov.ae

فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae

الإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

الجديد و حصري
NEW & EXCLUSIVE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه. وبعد:

فما أجملَ أنْ يعيش المسلمُ مع كتاب الله يستهدي بهداه، ويستنير بضياه.

ما أجملَ أنْ يصرف وقته في ترتيل آياته، وتدبّر عظاته.

واليوم تعالوا بنا إلى موضوعٍ مهم للغايةٍ، يرتبطُ به مصيرُ كل واحدٍ منا، هذا الموضوع هو **محبة الله لعباده**.

إنَّ كثيراً من الناس يحبون أن يكونوا مقربين من الكبراء، ويحبون أن يكونوا أثيرين عندهم، محبوبين لديهم، إنهم يشعرون في ذلك بلذة كبرى، ونعيم ما بعده نعيم.

إذا كانوا يجدون لأنفسهم مكاناً في قلوب أولئك فتلك عندهم غاية الأماني. ولعلَّ الأهم من ذلك - لو فكرنا - أنْ نكون مقرَّبين من الله عز وجل، محبوبين عنده، أثيرين لديه، لأنَّ ذلك هو الذي يبقى، وهو الذي ينفعنا في دنيانا وأخرانا، وهو الذي يطمئننا على مصيرنا يوم القيامة.

فمَنْ هم يا ترى أولئك الذين يحبُّهم اللّٰه تعالى، ويقرِّبهم من جلاله؟

نجد الجواب في القرآن الكريم وهو: أنَّ هناك تسعة أصناف يحبهم اللّٰه تعالى.

فمَنْ هؤلاء الأصناف؟ وما هي الوسيلة التي رفعتهم إلى هذا المنصب الكبير، وما هو العمل الذي أهّلهم لأن يكونوا من أحباب اللّٰه؟

للجواب على هذا السؤال نقول: إنَّ هؤلاء الأصناف هم: متبعو النبي ﷺ، والتوابون، والصابرون، والمتوكلون، والمجاهدون، والمتطهرون، والمقسطون، والمتقون، والمحسنون.

وإنَّ الذي رفعهم إلى أن جعلهم أحبابَ اللّٰه هي صفاتُهم التي اتصفوا بها.

وتعالوا بنا لنتعرف إليهم صنفاً صنفاً.

يقول اللّٰهُ تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

نزلتْ هاتان الآيتان في أهل الكتاب الذين ادَّعوا محبةَ اللّه لهم ومحبتَهم للّه، وهما بيانٌ ربانيٌّ فاصلٌ، وإعلانٌ قاطعٌ، بأنَّ الطريقَ الحقَّ إلى محبة اللّه تعالى اتصافاً بها واكتساباً لها هو اتباع النبيِّ ﷺ والإيمان به نبياً ورسولاً، وإعلان الإسلام، فمَنْ فعل هذا: أي آمن باللّه ربّاً، وبمحمدٍ رسولاً، وبالإسلام ديناً، فاز بمحبة اللّه تعالى، فإن استقامَ على ذلك كانَ ضامناً لاستمرار الحُبِّ ودوامه، ومَنْ لا فلا، وإذا وقع في خطأ أو خطيئةٍ، وتقصيرٍ أو قصور فإنَّ أمامَه لاسترجاع مكانته وسائلَ أخرى نستعرضُها فيما يأتي من أعمالٍ، وأُولاها التوبة.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

التوبة ركن أساسي في سلوك الإنسان، وهي تنقله من الوضع الشاذ إلى الوضع الطبيعي في الحياة، تُغلق عنه باب الشر، وتفتح له أبواب الخير، ولهذا حضَّ عليها الإسلام، ورغب بها النبي ﷺ، وجاءت أقواله الشريفة لتؤكد قول الحق جل جلاله، فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: « إنَّ اللّه يحبُّ الشابَّ التائب ». [رواه أبو الشيخ].

وأنه قال: « إنَّ اللّه يحبُّ العبدَ المؤمنَ المُفتَّن [أي الممتحن بالذنوب]

التواب». [رواه أبو يعلى]. فأي تكريم بعد هذا التكريم، وأي فضيلة بعد هذه الفضيلة؟

فإذا أردت أيها المسلم أن تكون حبيبَ الله فتبْ إليه، وارجع وتذلَّلْ بين يديه، وناد في جنبات الليل وأطراف النهار: إلهي قد عدتُ إليك، ووفدت عليك، معترفاً بذنبي، مقرّاً بتقصيري، شاكياً إليك ضعفي، فاغفر لي وتُبْ عليَّ فأنت القائل: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غَفرتُ لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي...». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

هذا هو **الصنف الثاني** مِنْ أحباب الله، فمَنْ هو **الصنف الثالث**؟

يقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

لقد قامتْ هذه الحياة على المتاعب، وبُنيتْ على الآلام، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه»، ولكن لابد للآلام من مسكِّنات تخفِّفُ وطأة الألم، وتُعين المؤمن على

اجتياز المحن، هذه المسكِّنات هي **الصبر**، أنْ تصبر على الشدائد، أن تصبر على المكاره، على كل ما لا يرضيك، وحينها تكون من الصابرين، وتكون من أحباب الله، وبدون الصبر لا يستطيع الإنسان أنْ يقاوم أمام هذه العواصف المظلمة، ولذلك عبّر عنه النبي ﷺ أنه ضياء حين قال: «الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء». [أخرجه مسلم]. الصبر ضياء: يُضيء لك دروب الحياة، يُضيء لك نفسَك، ويدفع عنك ظلمات الآلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ثم تكون النتيجة على أحسن ما تكون النتائج: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]؛ ذلك لأنهم أحباب الله، والإنسان إذا أحبَّ إنساناً أكرمه، وقدَّم له ما يملك، فكيف بالله؟ وكيف بِمن يملك السموات والأرض؟ كيف بِمنْ في يده خزائنُ السموات والأرض؟ إن عطاءه فوق كل عطاء، ولهذا يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب.

ونأتي إلى **الصنف الرابع**، إلى **المتوكلين**:

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ما هو التوكل ومَنْ هم المتوكلون؟

التوكل: هو اعتمادُ القلب اعتماداً راسخاً على اللّه، والمتوكلون هم الذين فوضوا أمورهم إلى اللّه، وسلّموا له، وأيقنوا أنه هو المتصرّف في الكون وحده، فلا يرجون سواه، ولا يخافون غيره.

إنك إذا كنتَ معتمداً على رجلٍ متنفذٍ شعرتَ بالقوة، وشعرتَ بالاطمئنان، فكيف إذا كُنت معتمداً على أقوى الأقوياء، على مَنْ يُصرِّف كل شيء، وبيده كل شيء؟ ولهذا أمر اللّهُ عبادَه بالتوكل عليه فقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وفي هذه الآية تعريض واضح بوسائل الدنيا الفانية.

ويقول النبي ﷺ: « مَنْ قال - يعني إذا خرج من بيته -: بسم اللّه، توكلت على اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه، يُقال له: هُديتَ وكُفيتْ ووُقيت وتنحى عنه الشيطان ». [أخرجه أبو داود وغيره]. إنك إذا توكلتَ على اللّه تولاك اللّهُ بحفظه ورعايته، فلا يستطيع أحد أنْ يعتدي عليك، أو أن يمسّك بسوء، لأنك في حماية اللّه: يقولُ ابن عباس رضي اللّه عنهما: « كان آخرَ قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار: حسبي اللّه ونعم الوكيل ». [أخرجه البخاري]. وكانت النتيجة: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ويقول النبي ﷺ: « لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو خماصاً وتروحُ بطاناً ». [أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح. والنسائي وغيرهم]. أي تذهبُ أولَ النهار ضامرةَ البطون من الجوع، وترجع آخرَ النهار ممتلئةَ البطون.

ثم ماذا يا ربنا أخبرنا عن أحبابِك، عن أُولئك الذين اصطفيتهم لحبك، وارتضيتهم لقربك:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]، ويقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]،

هؤلاء هم **الصنف الخامس، المجاهدون المتوحدون** الذين يُرخصون أرواحهم في سبيل الله، مِن أجل نصرة دينه، وإعلاء كلمته في الأرض، وحماية الأوطان من اعتداء المعتدين، إنهم آثروا الله على أنفسهم، ولهذا مَنَّ الله عليهم، وجعلهم من أحبابه، لقد استجابوا لله إذ يقول:

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٤١]، وأخذوا بإرشاد رسول الله، فعن أبي هريرة قال: «سُئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله». [متفق عليه].

إنَّ الجهادَ في سبيل الله أفضل الأعمال بعد الإيمان، وقد أكَّد النبيُ ﷺ هذا في حديثٍ آخر فقال حين سأله أبو ذر: أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله». [متفق عليه].

أمّا ما أعدَّه الله لأحبابه المجاهدين فذلك شيء لا يعرفه على حقيقته إلا الله: يقول النبي ﷺ: «إن في الجنة مئةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض». [رواه البخاري].

وللجهاد أحكامٌ وشروط وضوابطُ لا بد من التزامها حتى لا يتحول الجهاد إلى انفلات وفوضى، وتُطلب من مواضعها في كتب الفقه.

أما **الصنف السادس** فهم **المتطهرون**:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ويقول: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

الجديد و طرح NEW & EXCLUSIVE

الإسلام دينُ النظافة: نظافة القلب، ونظافة الجسم، والطهارة أصل في العبادات، فهل رأيتم ديناً كدين الإسلام؟ هل عرفتم ديناً يكرم المتطهرين إلى درجة أن يجعلهم أحباب اللّه؟ إن اللّهَ يحب المتطهرين، والعكس بالعكس، فقد توعّد النبيُّ ﷺ الذين يتساهلون ويُفرِّطون في الطهارة، وبيّن أنّ أكثر عذابَ القبر بسبب ذلك التساهل والتفريط.

ونأتي إلى **الصنف السابع**:

يقول اللّه تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ويقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ويقول: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ثلاث آيات كريمات يُخبرُ اللّٰهُ تعالى فيها أنه يحب **المقسطين**، فمَنْ هم المقسطون؟ المقسطون هم العادلون، هم الذين يُراقبون اللّٰه في تصرفاتهم فلا يظلمون أحداً.

المقسطون هم المنصفون الذين يقدرون لكل شيء قدره، فالعدل أساس الحياة، وبه تعمر الأرض، ويأمنُ الإنسان على دينه، وروحه، وعرضه، وماله، فيا مَنْ يحب ويطمع أن يكون من أحباب اللّٰه، أيها الأب في بيته، أيها المعلِّم في مدرسته، أيها الموظَّف في وظيفته، أيها المسؤول في دائرته: اعدلوا في أعمالكم، ولا تظلموا أحداً، وساووا الناسَ في حقوقهم، اتقوا اللّٰه واجتنبوا الظلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة، المقسطون هم أحباب اللّٰه، وأما القاسطون - وهم الظالمون - فكانوا لجهنم حطباً. وما أحلى ما يقول الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً فالظلمُ آخره يأتيك بالندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللّٰه لم تنمِ

وبمثل هذا الاهتمام بالعدل أكدَ اللّٰه عز وجل أهمية التقوى، وأخبر أنه يحبُّ **المتقين** في ثلاث آيات أيضاً فقال: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

وقال: ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

وقال: ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

المتقون هم الصنف الثامن، فما هي التقوى؟

« سأل عمرُ بن الخطاب رضي اللّه عنه كعبَ الأحبار عن التقوى ما هي، فقال له كعب: يا أميرَ المؤمنين هل سلكتَ أرضاً ذات شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا صنعتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: حذرتُ وشمَّرتُ. قال كعب: هذه هي التقوى يا أمير المؤمنين أنْ تحذرَ وتشمِّرَ».

التقوى هي الخوف والحذر من الله، الخوف من الوقوع في معاصيه، والتشمير في طاعته، وفي محاسبة النفس على تقصيرها وتفريطها.

وقد أمر الله تعالى بها فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ليس مَنْ يقطعُ طُرْقاً بطلاً إنما مَنْ يتقي اللّهَ البطلْ

الجديد و طهري NEW & EXCLUSIVE

أمّا **الصنف التاسع** والأخير من أحباب الله فهم **المحسنون**، وقد أخبر الله تعالى أنه يحبهم في خمس آيات فقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤٧) فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

خمس آيات يكرِّر الله فيها أنه يحبُّ المحسنين، فما هو الإحسان؟

ومَنْ هم المحسنون؟ تعالوا بنا إلى النبي ﷺ ليفسِّر لنا الإحسان حين سأله عنه جبريل، قال جبريل للنبي ﷺ: أخبرني عن الإحسان؟. قال: « الإحسان أن تعبد اللّهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». [رواه البخاري ومسلم]. هذا هو الإحسان، أن تستشعر رقابة اللّه عليك في كل حركة وسكنة من حركاتك وسكناتك، أنْ تعرف أنه تعالى مطّلع عليك، ناظر إليك.

الإحسان أن تحسن إلى كل شيء في هذه الحياة، فقد قال النبي ﷺ: « إنّ اللّه كتبَ الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحَةَ، وليحِدَّ أحدُكم شفرته وليُرح ذبيحته ». [رواه مسلم].

إن اللّه كتب الإحسان على كل شيء.

فيا مَن آتاه اللّه بسطة في ماله أحسن إلى الفقراء والمساكين.

أحسنْ إلى الناسِ تستعبدْ قلوبَهُمُ
فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

يا مَنْ آتاه اللّه بسطة في جاهه ساعد الناسَ في تحصيل حاجاتهم، وإنَّ للجاه زكاةً كزكاة المال.

والآن بعد هذه الجولة مع أحباب الله فليسأل كلٌّ واحد منّا نفسَه: هل أنا من أحباب الله؟ فمَنْ وجَدَ خيراً فليحمد الله، ومَنْ وجد غير ذلك فليجتهد أنْ يتصف بصفة من هذه الصفات، علّه أنْ يصل إلى هذه المرتبة العالية، والمنزلة الغالية.

إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوا رسوله حتى يحبكم الله. حتى تكون المحبة قائمة بين الإنسان والرحمن.

لقد ألَّف الغربيون كتباً كثيرة تعلمك كيف تكسبُ الأصدقاء، كيف تكسب محبتهم، وتكون موضع ثقتهم.

ولكنّ القرآن – القرآن وحده – هو الذي يعلّمنا كيف نكسب محبة الله، ومن المؤسف أن نجد الكثيرين منا اليوم نسوا القرآن، وأعرضوا، واشتغلوا بترهات الأمور حتى صدق عليهم قولُ الشاعر:

أغاية الدين أنْ تحفوا شواربكم   يا أمةً ضحكتْ مِن جهلها الأممُ

وحتى لا ننسى، حتى لا تجرفنا تيارات الدنيا فليكتبْ أحدُنا في ورقةٍ يضعها نصب عينيه: هل أنا مِن أحباب الله؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥].

* * *